المركزية الاجتماعية وصراع الذات تاء الخجل لفضيلة الفاروق أنموذجاً

Social centralism and self-struggle are ashamed of the fadila El-Farouk as a model

بعيرة عقيلة*

جامعة الحاج لخضر باتنة 1

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

akilabaira@gmail.com

تاريخ الإرسال: 14-**07-2021** تاريخ القبول: 16-**11-2021**

ملخص:

تعد الرواية النسوية الجزائرية من أهم الأجناس الأدبية التي استطاعت مسايرة مختلف الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية، التي مر بها المجتمع وخاصة في مرحلة التسعينيات –العشرية السوداء- فرغم صعوبة الظروف وحساسية المواقف، إلا أن الأديبة الجزائرية فضيلة الفاروق استطاعت في روايتها تاء الخجل تسليط الضوء على مجموعة من القضايا الحساسة التي كانت في وقت مضى تعد خطوطا حمراء لا يمكن تجاوزها والإفصاح عنها في المجتمع الجزائري منها مسالة الذكورة الأنوثة الهامش، المركزي، الأنا والأخر، حيث ساهمت هذه الثنائيات في طرح كثير من الإشكاليات المتعلقة بعلاقة الأنا الأنثوية بالآخر المفرد (الرجل) أو الجماعة (المجتمع).

لتبرز لنا في النهاية مدى انكسار وتشظي الذات الأنثوية نتيجة توافق وتكامل منظومة من العلاقات الفردية والجماعية التي دعمتها الخلفية الثقافية.

الكلمات المفتاحية: مجتمع؛ أنثى؛ رجل؛ مركز، هامش.

Abstract:

The Algerian feminist novel is one of the most important literary races that has been able to keep pace with the various social, cultural and political conditions that society went through, especially in the 1990s- the black decade. Despite the difficult circumstances and sensitivity of the situations, Algerian writer Fadhila Al-Faruq was able in her novel T.J. Shyness to highlight a range of sensitive issues that were once considered red lines that could not be crossed and revealed in Algerian society, including the issue of masculinity, femininity, the margin, the ego and the other, as these dualities contributed to many problems related to the relationship of the female ego to the singular (man) or community (society).

To finally show us the extent to which the fragmentation of the female self is broken as a result of the compatibility and integration of a system of individual and collective relationships supported by cultural morality.

* المؤلف المراسل

Keywords: Community; female; man; center, fringe.

مقدمة:

لم يكن الأدب منذ القديم مجرد أداة أو وسيلة برغماتية أو جمالية، وإنما كان تقنية حضارية فريدة استجابت لمختلف الوقائع والظروف التي فرضها الواقع الاجتماعي والثقافي المعيش، فكان بذلك مسلكا من مسالك بلوغ الغايات الهادفة. التي طالما سعى الأدباء والمبدعين إلى تحقيقها.

لذلك كانت علاقة الأدب بالواقع الاجتماعي «علاقة معقدة، لا ثنائية بسيطة، كما تبدو للبعض، فليس الأدب / التعبير قطباً، والواقع الاجتماعي/ التجربة الحديثة قطباً آخر، بل إنّ الأدب حدوث في الواقع وصدور عنه في آن، وهو أثر منه وعامل فيه»[(1)].

و هذا ما تجسدهُ مجمل التيارات الفكرية والنقدية الحديثة والمعاصرة ومنها نظرية النقد النسوي، أو أدب المرأة، أو الأنثى ... الخ ...،كخطاب مستحدث في أوربا في الستينات من القرن الماضي بهدف خلخلة موازين المركزية الاجتماعية، التي تجسدها السلطة (الذكورية أو الأبوية)، التي همشت المرأة في هذه المجتمعات وأسقطتها موضع الدونية، الأمر الذي فعّل دور الحركات التحررية، لمناهضة ذلك، والمطالبة بتحريرها من مختلف العوائق الاجتماعية والأسرية والأدبية.

و ترى إحدى رائدات هذا التوجه، وهي سيمون دي بفوار أن تعريف المرأة وهويتها الاجتماعية تنبع دائما من ارتباطها بالرجل، فتصبح المرأة آخر يتسم بالسلبية، بينما يكون الرجُلُ ذاتا سمتها الهيمنة والرفعة والأهمية: أي : أنّ الأنا الاجتماعية الذكورية جعلت من ذاتها مركزية محورية، في شتى الجوانب، بينما نظرت إلى المرأة كآخر تابع ثانوي لا يكتمل إلا بتبعيته المطلقة، وبالخضوع للقيم والأعراف والتقاليد الاجتماعية، مما جعل أنصار هذا التوجه الابداعي يطالبون بإنصاف المرأة وجعلها أكثر وعيا بذاتها للتخلص من الظلم القهري الذي مورس عليها من قبل المجتمع الذكوري.

هذا الأخير الذي اختزل كينونتها وفاعليتها وإسهامها الاجتماعي والثقافي إلى مجرد جسد تابع، تُجرد هي من السلطة عليه، وتوكل الى الآخر المسيطر (الزوج، المجتمع، ... الخ ...).

---

(1) يمني العيد، (2005)، في مفاهيم النقد وحركة الثقافة العربية، دار الفرابي، ط1، بيروت، لبنان، ص: 207.

و من هذه المنطلقات كانت الابداعات النسوية الجزائرية خاصة في مجال الرواية بمثابة العين الراصدة، التي سايرت مختلف الوقائع والأحداث والتطورات، فشخصت الواقع بكل مكنوناته، وتطلعت الى المستقبل آملة في زعزعة هذه المركزية الاجتماعية المفروضة، التي كثيرا ما أساءت إلى الذات الأنثوية نفسيا وجسديا، وأبعدتها عن أدوارها الفعالة في بناء المجتمع، مما ولد صراعا محتدما بين هذه الذات المبدعة الأنثوية وبين الآخر المركزي (المجتمع)، وما يجسده من سلطة الذكورة، حول رغبة كل منهما اعتلاء موقع المركزية الاجتماعية للتحرر من سلطة الآخر اجتماعيا وثقافيا وأدبيا.

وهذا ما تضمنته الخطابات الاستعمارية، وتقابل الثقافات وكذا النقد النسوي، الذي صار يسعى إلى تشكيل الذات الأنثوية على حساب ذوات أخرى من منطلق إيمانه بحتمية مبدأ الصراع أو الضدية الثنائية بين (المركزية الاجتماعية الذكورية، والتبعية الهامشية الأنثوية).

انطلاقا من هذه الثنائية المحورية سنحاول ولوج العالم الابداعي الأنثوي للأديبة والمبدعة الجزائرية فضيلة الفاروق في روايتها _ تــاء الخـجــل _، محاولين استنطاق ما تختلجه من أبعاد اجتماعية مهيمنة على تموقع الأنا والآخر، مكيفة تشاكل هذه الثنائية وفقا لما تقتضيه وتفرضه سلطة التاريخ والثقافة والأعراف والتقاليد، التي غالبا ما كانت نابعة من الذات المهيمنة، بعيدا عن الموضوعية والتوازن المنطقي.

و هذا ما جعل المبدعة تحاول إعادة رسم الواقع الاجتماعي السلطوي لكن بحقائق ووقائع مناقضة ومناهضة لهذا الواقع، رغبة منها في تغيير الوقائع والأزمنة الأحادية التي فرضتها (المركزيــة الاجتماعية الذكورية) ولغة الخطاب المقنعة بثنائيات (الانتصار والهزيمة، المركزية والهامشية، القـوة والضعـف، الامتلاك والاستيلاب ...الخ ...).

فكانت تاء الخجل بمعناها الإبداعي، محاولة جادة «لإعادة كتابة التاريخ الاجتماعي السلطوي، أو كتابة أخرى للتاريخ، تنكرها السلطة وتتطير منها»[1]. حيث حاولت فضيلة الفاروق في روايتها تحقيق التكافؤ الاجتماعي من خلال مواجهتها الشجاعة لبعض مشكلاته، سعيا منها لرفع الغبن على شريحة واسعة في المجتمع من الأفراد، وابعاد اليأس الاجتماعي

---

[1] فيصل دراج، (2004)، الرواية وتأويل التاريخ - نظرية الرواية والرواية العربية - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص: 369.

عنهم الذي غالبا ما يسحق النفوس ويميت المشاعر، وبالتالي خلق حالة من التوازن الاجتماعي وهو ما عرفه الفرد والمجتمع الجزائري في العشرية السوداء، وما تولد عنها من انهيار للقيم، وانشطار للذات الأنثوية خاصة، وشعورها بالقهر وجهل المصير مما دفعها إلى التمرد. فكان هاجس البحث عن الهوية الاجتماعية والذاتية للأنثى المحور الغالب على رواية الكاتبة حيث حاولت استيعاب مختلف قضاياها الاجتماعية والثقافية والسياسية مما جعل خطابها بحق يشكل جدال الأنثى المبدعة المثقفة التي رسمت لذاتها عوالم أكثر تفتحا على الآخر (المجتمع، الأسرة، الرجل)، محاولة استقراء مجمل ما يحيط بها من وقائع وأحداث وتشخيص كل ما تعانيه المرأة من توترات وصراعات مختلفة، فكانت كتاباتها أكثر امتدادا لوجودها، وهذا ما يجسد ادراك ووعي الأديبة بذاتها الأنثوية، وتفردها في الآن ذاته بهوية اجتماعية مستقلة عن الهوية الاجتماعية الجماعية، ومنه يمكن القول : إن فضيلة الفاروق سعت في روايتها للتنبيه وابراز «أفضل الطرق النموذجية في التفكير العملي للأفراد والجماعات في مجالات الحياة المتعددة، سواء كان هذا التفكير بهدف التوصل إلى أفضل سلوك في المواقف أو اتجاه القضايا في الحياة أو كان لمجرد التفكير واستثارة الفكر حول موضوعات وقضايا مختلفة»[1]. من أجل مجابهة الواقع ومحاولة إصلاحه، وهي مهمة المثقفين الأولى، لذلك فقد جاء خطابها متعدد الأبعاد والمقاصد.

و لأنّ «نظام القيم السائد في كل مجتمع والقائم في كل بيت وعند كل شخص هو المحرك لسلوك الإنسان، ... اضطربت أولويات هذا النظام واختلفت مع أولويات المجتمع، وتعمقت الهوة بينهما، يصبح الوقوع في السلوك المريض أو المرض الاجتماعي أمرا محتملا»[2]. ومن هذه الأمراض المشخصة في الرواية والمجسدة نحلل التواصل الاجتماعي بين الافراد والجماعات تشكل الثنائيات المتضادة بين الأنا المركزي والآخر المهمش ومحاولة كل منهما إثبات أناه باعتلاء المركزية، وإلغاء الآخر، ومن هنا يبدأ الصراع بينهما:

1.المركزية الاجتماعية في رواية تاء الخجل:

---

[1] جليل وديع شكور، (1998)، أمراض المجتمع - الأسباب - الأصناف - التغيير - الوقاية والعلاج، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت، لبنان، ص: 83.

[2] المرجع نفسه، ص: 86-87.

إن التحليل السيسيولوجي لأي عمل أدبي لا بد ان يستوقفنا عند بعض التساؤلات الرئيسة: حول المتغير في تاء الخجل كنص ابداعي مقارنة مع النص الروائي النسائي عموما، وهل هذا التغير ايجابي أم سلبي؟

و لماذا حدث هذا التغير في الخطاب؟

يقول العالم الاجتماعي دور كايم «إنّ الحياة الاجتماعية عموما يجب أنّ تفسر بالأسباب العميقة التي يتم الوعي بها وليس بالتصور الذي يحمله أولئك الذين يشاركون فيها»[1]. ولهذا سعت فضيلة الفاروق في روايتها الى الغوص في عالم المسكوت عنه في المجمع، وإبراز الحقل التصادمي في المواقف والقيم المتنوعة بين الأنا الأنثوي والآخر (الرجل، الأسرة، المجتمع، الوطن)، تقول فضيلة الفاروق:

منذ العائلة ... منذ المدرسة منذ التقاليد ... منذ الارهاب كل

شيء عني كان تاء الخجل،

منذ العبوس الذي يستقبلنا عند الولادة

منذ أقدم من هذا

منذ القدم

منذ الجواري والحريم.

منهن اليَّ أنا، لا شيء تغير سوى تنوع في وسائل القمع وانتهاك كرامة النساء. [2]

إن مركزية المجتمع وتبعية الأنا الأنثوية في الرواية يخضع للأحكام الحتمية المطلقة والتي تمثلها مجموع القيم الاجتماعية والأعراف والتقاليد منذ القدم، وما حديث فضيلة الفاروق عن ذاتها، وتوظيفها لمجموعة من النماذج النسائية (الذات المبدعة، الجدة، العمة، الأم، ...الخ ...) إلاّ وهو إحدى تجليات الوعي، وهو خلاصة عملية عقلية، ونفسية فائقة التعقيد،

---

[1] علي سموك، إشكالية العتق في المجتمع الجزائري من أجل مقاربة سوسيلو جية، جامعة باجي مختار - عنابة- الجزائر، 2006،ص: 19. نقلا عن

EMILDURKHEIM,(1969) les règles de la méthode sociologique ED,ALLAN, 5*,, ED, P 125.

[2] فضيلة الفاروق، (2006)، رواية تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت لبنان، ط1، ص: 11-12.

نشأت في الرحم الاجتماعي «فالذات هنا كل منظم يعبر عنها الشخص باستخدام الضمائر التي تحيل إلى نفسه وذاتيته وتعبر عما يختلج روحهُ»[1].

لذلك فقد تضمنت الرواية مجموعة من القيم والمطالب متعددة الأبعاد، التي آمنت بها المبدعة، فراحت تستصرخ وتكافح لأجل إبرازها وترسيخها في المجتمع، وبهذا فهي تحاول إثراء مجموع القيم الاجتماعية اذان هناك علاقة تأثير وتأثر متبادل بين القيم وهذا التغيير الذي تسعى اليه، وهذا لأن قوة النظام الاجتماعي ومركزيته الإيجابية تؤدي إلى تنسيق الأدوار فيه مما يزيد في صلابته وتطويره نحو الأفضل.

كما نلمس من جهة أخرى معارضة الفاروق لمقولة الفيلسوف نتشة والقائلة بأن : «الفضيلة ليست شيئا سوى الطاعة لعادات الجماعة من أي نوع كانت هذه العادات»[2].

2. المركزية الاجتماعية السلبية:

و هي الأكثر استحواذا على نص الرواية، وقد شخصتها الأديبة في كل ما تتعرض له المرأة من إساءة (**Aause**) التي عرفها كل من جيليس وكورنيل «بأنها صورة متنوعة من الإيذاء البدني، أو الجنسي، أو اللفظي أو النفسي الذي يمارسه طرف لإجبار طرف آخر على إتيان افعال معينة أو الامتناع عنها»[3]. تقول المبدعة :

بعدك صار الرجال أكثر قسوة أيضا.

صارت الانوثة مدججة بالفجائع.

والوطن يشيع أبنائه كل يوم، الحب مؤلم جدا حيث تعتبره الجنائز وتلوثه الاغتصابات، ويملؤه دخان الإناث المحترقات[4].

إنّ الذات المبدعة هنا تشعرنا بما آلت إليه أوضاع الأنا (الأنثوية) المتأزمة نفسيا واجتماعيا، فهي « تعاني من الإكتئاب والشعور بالاضطهاد والإحساس بعدم القيمة، والقلق، والخوف،

---

(1) محمد سوبان، (2005) مجلة دراسات اجتماعية، عدد 1، الجزائر، ص: 103.

(2) فوزية دياب، (1980)، القيم والعادات الاجتماعية، بيروت، دار النهضة، ص: 55. نقلا عن د.جليل وديع شكور - أمراض المجتمع، ص: 75.

(3) جليل وديع شكور - أمراض المجتمع، ص:03.

(4) الرواية، ص: 14-15.

والعجز...» [1]. خاصة وإن ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري في العشرية السوداء كانت واقعا معقدا متعدد الأشكال متداخل البنى يصعب فصله أو تطويقه، وذلك بالنظر إلى ما ينطوي عليه المجتمع من قيم متباينة في تركيبته القيمية فقد« تأرجحت أنساق القيم فيه بين السلبية، والاستسلام والخضوع من ناحية، والإيجابية والتعدد والعنف من ناحية أخرى، ومردها أسباب تاريخية، ثقافية، اقتصادية، اجتماعية...» [2].

أما أسباب هذه المركزية الاجتماعية السلبية، فمردها إلى حدوث خلل في العملية التواصلية بين الأنا والأخر عموما والأنا الأنثوية والأخر(المجتمع) خصوصا، وذلك لأن التوافق في عملية التواصل هو الطبيعة السليمة للفطرة الإنسانية، فهذه الظاهرة المرضية أوجدتها مجموعة من المعطيات والأسباب وقد أشارت إليها فضيلة الفاروق في روايتها وأهمها:

- التركيب الاجتماعي للمجتمع الجزائري.
- سوء التوافق الاجتماعي خاصة في أثناء العشرية السوداء.
- تدهور نظام القيم الأخلاقية والسياسية والثقافية لفئات المجتمع.
- سوء توظيف وسائل الدولة(القانون، الإعلام ... الخ).
- عوامل التنشئة الأسرية السلبية التي تعمل على تهميش الهوية أو الذات الأنثوية ووسمها بالتبعية.
- الفهم الخاطئ للدين، والاحتكام للعادات والأعراف البالية.

تقول الروائية:

فمن يعرف رحمة الاسلام من بين كل هؤلاء؟

لا احد!

فالبعض يغتصب النسا باسمه.

و البعض ينبذهن باسمه.

و البعض يمنحهن تعويضا من الولاية يعادل ألفي دينار باسمه.

و البعض ينكر أنهن ضحايا باسمه.

---

(1) ينظر: جليل وديع شكور - أمراض المجتمع، ص:5-7.

(2) علي سموك، إشكالية العتق، ص: 310.

و الجمعيات النسائية تستنكر وتصرخ[1].

إن مركزية الأخر (المجتمع والرجل) وتبعية الأنا الأنثوية في رواية تاء الخجل هو معطى ثقافي، تزكية العادات والتقاليد، والفهم الخاطئ لتعاليم الدين وبالتالي تمنح هذا الأخر (الرجل) مركزية مفروضة تجسد بوضوح سلبية الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي يتخبط فيه المجتمع عموما. والأنا الأنثوية خصوصا، حيث يسعى الآخر بفضل مركزيته وتضخم أناه المهيمنين إلى طمس معالمها الذاتية وإلغائها، وكان من نتائج ذلك ظهور مجموعة من الأمراض الاجتماعية شخصتها المبدعة وهي:

1.2. التمركز الذاتي (فرار الذات من ذاتها، النزعة التمردية)

تقول الروائية:

جاءت هذه السنوات متلاحقة لتصنع سجني الذي لم أتوقعه،

سجني الانفرادي داخل وطن مليء بالقضبان.

إذا لم تعد أسوار الأسرة هي التي تستنفر طير الحرية في داخلي للهروب،

صار الوطن كله مثيرا لتلك الرغبة مثلي مثل الملايين من الشباب الحالمين بالهجرة إلى حيث النوم لا توقظه الكوابيس، صرت أخطط للهرب.[2]

إن الرّغبة الملحّة في التحرر من كل أشكال السلطة المفروضة على الذات، التي جعلتها تشعر بضيق الأفق «إنها النزعة إلى التمرد والتي تأخذ في بعض الأحيان شكل الاحتجاج ضد كل ما في المجتمع من عادات وتقاليد، بهدف إثبات الاستقلالية »[3]

خاصة بعد تراكم المعوقات النفسية أو الذاتية، واستحالة تحقيق التواصل الفعال بينها وبين المحيطين بها (أسرة، مجتمع، وطن) مما جعل ذاتها أي: الذات (المبدعة أو الأنثى) في حالة تصادم دائم مع الأخر ساعية دوما إلى إلغائه وعدم الاعتراف به ومحاولة إبعاده عن حقلها الاجتماعي والشخصي وهنا تكون العملية مضاد من قبل الأخر (المجتمع) حيث تصبح كل هوية تسعى إلى إلغاء هوية الأخر، وهنا تكمن الخطورة ويبرز الصراع لأن النتيجة دوما هي

---

(1) الرواية، ص: 55-56.

(2) نفسه، ص: 36-37.

(3) خليل وديع شكور- المرجع السابق، ص: 105.

ظهور المزيد من الأمراض الاجتماعية واحتقان الوضع يقول: شايغان « إنّ اخطر الهويات على الإطلاق هي تلك التي لا تتحقق إلا على أنقاض هويات أخرى»[1].

و الإشكالية المثارة هنا أن الذات لا تحقق تواجدها وتكاملها إلا بوجود الآخر فمسألة « الأخر تبدو من مقومات الهوية»[2].

و ترى الدارسة في علم الاجتماع هورتي أن المركزية الاجتماعية السلبية تشعر المرأة بالتمييز الاجتماعي لذلك فهي ترفض أدوارها الأنثوية لا شعوريا وفي السياق ذاته تقول الناقدة والروائية جوليا كريستيفا بأنّ المرأة في هذه الحالة بحاجة «إلى ثورة للتغلب على ما يعوقها عن تحقيق ذاتها، كما ينبغي أن تكون لها القدرة على التحدي بقوة في كل المجالات، وأن تتغلب على الظلم والاضطهاد الذي تتعرض له في كل مكان»[3].

2.2. انكسار الذات:

و هو إحساس عام تستشعره الأنا الأنثوية انطلاقا من تراكمات سابقة، وتأزم أوضاعها المختلفة، حيث تلاقي الرفض والتهميش والنظرة الدونية منذ العصر الجاهلي من العائلة والمجتمع ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ (النحل:58)، وهذا عكس ما كان يلاقيه الذكر، وهنا تشعر الأنثى في ذاتها «بالنقص عندما تشعر أن الوالدين أو المجتمع أو الثقافة تفضل الذكور فقط، لأنهم ذكور، ففي هذه الحالة تشعر الأنثى بالنقص لمجرد أنها أنثى ولا تحصل على نفس مزايا الذكور، لدى الوالدين أو المجتمع أو الثقافة»[4].

منذ العائلة... منذ المدرسة..... منذ التقاليد..... منذ الإرهاب كل شئ عنى كان تاء للخجل،

منذ العبوس الذي يستقبلنا عند الولادة

منذ أقدم من هذا،

منذ والدتي التي ظلت معلقة بزواج ليس زواجا تماما.

---

(1) علي سموك- المرجع السابق، ص:105 .

(2) المرجع نفسه، ص:12.

(3) هبة محمد علي حسن، الإساءة إلى المرأة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ص: 85. نقلا عن **Minsky,R (1996) P.sycho-analyse and Grender Raulthed, NewYork, P: 178-181**

(4) نفسه، ص: 203.

منذ كل ما كنت أراه فيها يموت بصمت،

.....

لهذا كثيرا ما هربت من أنوثتي،

و كثيرا ما هربت منك لأنك مرادف لتلك الأنوثة [1].

هنا بدأ تأزم وضع الأنا الأنثوية مع هذه المغالاة الأسرية والاجتماعية في تمجيد وتبجيل الآخر(الرجل) وتهميش المرأة لا لشيء سوى للمغايرة الجنسية بينهما وبالتالي فهي هنا لا تنظر إلى أناها كأنا فاعلة مع الآخرين، مما ينتج عنه حدوث خلل في رسم علاقاتها الشخصية والاجتماعية وبالتالي فرواية المبدعة فضيلة الفاروق « بحث نوعي في تاريخ هوية مأزومة فقدت ما كان عندها، ولم تعثر على ما تريد الحصول عليه، هوية معلقة في الفراغ، تتطلع إلى مستقبل تعجز عن الوصول إلى أبوابه»[2].

فالمركزية الاجتماعية السلبية، انعكست على الأنا المتكلمة فجعلتها « أنا قلقة متوترة، رافضة أو على الأقل غير راضية وغير مطمئنة لوضعها في إطار الآخرين ممزقة بين ما ي، وما تود إن تكون، أي بين واقع الحياة وما تتطلع إليه»[3].

تقول الروائية :

كنت مشروع أنثى، ولم أصبح أنثى تماما بسبب الظروف،

كنت مشروع كاتبة، ولم أصبح كذلك،

إلا حين خسرت الإنسانية إلى الأبد، كنت مشروع حياة،

و لم أحقق من ذلك المشروع سوى عشره[4].

إذاً هي انكسارات وخيبات أمل متوالية على الذات الأنثوية فالمفعول به ثابت وواحد، بينما الفاعل متعدد، مما يصعب من انفلاتها من هذا الوضع، ويرى علماء الاجتماع « أن نمو

---

[1] الرواية، ص: 11.

[2] فيصل دراج، المرجع السابق، ص: 369.

[3] الحميري عبد الواسع، (1999)، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، يروت، ط1، ص: 12.

[4] الرواية، ص: 15.

الذات وتغيرها، ونمو فهمها مرتبط بتفاعلها مع الآخر والبيئة، وأنها مفتوحة على ذوات أخرى من حولها متشابكة ومتفاعلة معها، ومع المحيط الذي نشأت فيه»[1].

وإذا كانت الهوية تتعلق بشعور الفرد بذاته «عملية داخلية يعرف فيها الفرد ذاته ويدرك مدى التكامل بين الجوانب المختلفة لها»[2]، ومنه فهناك بعض الأحداث والمواقف السلبية التي قد تتعرض لها الذات الأنثوية فتحدث لها شرخا عميقا في ذاتيتها، فالإساءة إليها مثلا وتعنيفها من قبل الأب، الأخ، الزوج قد يؤدي مع مرور الوقت إلى شعورها بالنقص وانعدام القيمة.

لماذا خانني المطر بعد ذلك؟

ألأنّني من بني مقران من ذلك البيت الملئ بالخيبات المغلقة والريف الزائف؟

أم لأنني أنثى تملأها العقد ؟[3].

3.2. استلاب الجسد:

من أبرز أشكال الإساءة للمرأة في رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق استلاب الجسد عنوة، ويمكن تمييزه إلى شكلين:

استلاب مادي ويتمثل في (الاغتصاب، والضرب).

استلاب معنوي ويتمثل في: الاكراهات المعنوية المختلفة.

تقول الروائية :

« وحدهن المغتصبات يعرفن معنى انتهاك الجسد، وانتهاك الأنا،

وحدهن يعرفن وصمة العار، وحدهن يعرفن التشرد،

و الانتحار وحدهن يعرفن الفتاوى التي أتاحت الاغتصاب».[4]

---

[1] وقائع الملتقى الدولي رشيد بوجذرة وإنتاجية النص، المركز الوطني للبحث في الأنثربولوجيا الإجتماعية والثقافية منشورات (**Gax، 10-9**) أفريل 2005، الجزائر، ص:07.

[2] هبة محمد علي حسن، المرجع السابق، ص:89 .

[3] الرواية، ص: 19.

[4] نفسه، ص: 56.

فالاغتصاب عملية جنسية غير مرغوب فيها (**Le Viol**) وتحدث خارج إطار العلاقة الزوجية، وهو من الجرائم المعاقب عليها وترفضه الفطرة السليمة والأنظمة الاجتماعية السوية.

وهو من أقسى العقوبات الاجتماعية التي سلطت على المرأة في العشرية السوداء، نظرا لما ينظمنه هذا الفعل من نسف للقيم الدينية والأخلاقية المتعارف عليها، وبالتالي حدوث خلل في منظومة القيم الذاتية والاجتماعية وذلك لأن «المجتمع هو مصدر المعايير وهو من يكسبها لأفراده بواسطة التنشئة الاجتماعية، التي تستند بدورها إلى القيم والتعاليم الدينية والأخلاقية، وتشكل الإطار والخلفية لما يسمى عادات المجتمع وتقاليده، وتشكل بالتالي المرجعيات التي تحكم بضوئها على السلوك في كونه مسموحا أو غير مسموح....» [(1)].

وبالتالي فاستلاب الجسد عنوة من قبل الأخر يخلف اثأرا نفسية واجتماعية بالغة السلبية على الأنا (الأنثوية) بالإضافة إلى ما يشكله من هدم للقيم المتعارف عليها في إطار الجماعة الاجتماعية.

خاصة وأن الآخر (الرجل أو المجتمع) ،وضع الشرف كمعيار قيمي بارز في الحكم على قيمة المرأة وعفتها، وبالتالي فإقدامه على انتهاك هذا المعيار، يبرز مدى التناقض الصارخ، بينما يطالب به وما يفعله، فبفعله هذا يلغي ذاتية المرأة تماما ولا ينظر له إلا على أنها جسد للمتعة فقط، مما يولد لديها «أعراض الاكتئاب، الشعور بعدم الكفاية، وعدم الثقة، الشعور بالسلبية والعجز، الشعور المستمر بالتهديد والأفكار الانتحارية....» [(2)].

وتشير معظم الدراسات الاجتماعية إلى أن ظاهرة الإساءة والعنف المسلط على المرأة هي ناتج عن عوامل متنوعة كالإحباطات والضغوط الناجمة عن قساوة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والجهل بالإضافة إلى الموروث الثقافي الخاطئ.

4.2. الاستلاب المعنوي:

الإساءة المعنوية للمرأة هي ثقافة منتشرة منذ القديم لدى اغلب شعوب المعمورة، فقد كانت الأنا (الأنثوية) تحظى بمنزلة اقل من الرجل، ولم يكن ينظر إليها إلا كجسد للاستغلال، لاعتراف له بالحقوق المادية أو المعنوية، فقد كانت المرأة مثلا في الثقافة الهندية تخاطب

---

(1) ينظر:- جليل وديع شكور-أمراض المجتمع، ص: 74-75.

(2) هبة محمد علي حسن، المرجع السابق، ص:16.

زوجها في خشوع، ولا تأكل معه بل تأكل مما يتبقى عنه، وكانت بعد وفاته تقيد بالسلاسل والأغلال وتحرق معه في أتون واحد.

أما المرأة اليابانية، وحتى عصرنا هذا فهي تعلم مبادئ ثلاثة منذ صغرها هي «طاعته لأبيها قبل زواجها، ولزوجها عندما تتزوج، ولابنها الأكبر بعد وفاة زوجها»[1].

ومن عاداتهم القديمة أيضا حلق المرأة شعرها بعد وفاة زوجها، وارتدائها للملابس الكئيبة، ولهذا قيل أن اليابان جنة الرجال وسجن النساء.

أما بالنسبة للمجتمعات العربية فقد كانت المرأة قبل مجيء الإسلام مهمشة تابعة ملغاة الحقوق، لكن بعد مجيئه، حررها وأنصفها، وأوصى بها خيرا لكونها ركيزة وعماد المجتمع، فحظيت بمكانة مرموقة وحفظ لها الشرع كل حقوقها المادية والمعنوية.

لكن الاستثمار الخاطئ للدين، جعل المجتمع بأعرافه وتقاليده يلعب دورا أساسيا في توظيف مفهوم التربية الحسنة لجعل الفتاة تتدرب منذ الصغر على مواصفات اكتمال الأنوثة، فكلما تفانت وسخرت ذاتها للآخر (الرجل) كلما نالت إعجابه وإعجاب المجتمع أيضا.

استحضرت الروائية الكثير من القيم الخاطئة التي تنظر إلى المرأة (الأنثى) كجسد مدنس يستغل ماديا ومعنويا من قبل الآخر فالاستلاب المعنوي قد يأخذ بعدا سياسيا، أو خلقيا، أو شخصيا، أو حتى الحق في الحياة.

أي امرأة هذه التي تذهب إلى مقر حزب وتعلن انتماءها؟

انك تعرف جيدا أن أغلب النساء لسن مسؤولات عن أنفسهن،

فغالبا ما يقوم أحد رجال العائلة بتسجيلهن،

كمنتميات لأحزاب فيما لا علاقة لهن تماما بالسياسة[2]

بالإضافة إلى استلاب الحقوق السياسية من قبل الأخر (الرجل)، فهناك استلاب أخر أشارت إليه الفاروق، وهو استلاب حق تقرير المصير والمتمثل في إكراهات الزواج، وهنا نشير إلى إمكانية تعرض الأخر (الرجل) مثل هذه الاستلاب لان سلطة المجتمع هنا تكون أقوى.

أجاب وهو يبتسم.

---

[1] المرجع السابق، ص:30.

[2] الرواية، ص: 68.

المشكلة أن الجميع قرر أن نتزوج قبل أن أسافر.

واللا عيشة ماذا قالت؟

هي تريد لي سعدى أو ريحانة وأنا لا فرق عندي بينهما[1]

...

سنة العار.

سنة 1994 التي شهدت اغتيال151 امرأة واختطاف 113من الوسط الريفي المعدم[2]

الأمير هو الذي يهديها[3]

حاولت الفاروق في روايتها الغوص إلى أعماق الفرد والمجتمع وتشخيص بعض أمراضه، وما انجر عنها من مضاعفات خطيرة مست الأنا الانثوية (كمفعول بها) مهزومة أمام الآخر (الرجل والمجتمع) (كفاعل) مسيطر، لكن هذا الأخير مني بهزيمة أكبر في القيم والمبادئ وذلك لأن «اختلال التوازن بين ما يتعلمه الإنسان من قيم مثالية، وبين ما يراه على أرض الواقع من انحدار وتدهور في هذه القيم يؤدي به إلى الضياع والاضطراب النفسي».[4]

ومنه يمكن لنا القول إن الروائية حاولت من خلال روايتها التنويه بمدى أهمية خلق التكافؤ الاجتماعي من خلال مواجهتها الشجاعة لبعض المشاكل والأمراض، سعيا منها لرفع الغبن والمعاناة عن شريحة واسعة من أفراد المجتمع (الذات الأنثوية)، وإبعاد الغبن واليأس عنها، الذي غالبا ما يسحق النفوس ويميت المشاعر وبالتالي خلق حالة من اللاتوازن الاجتماعي.

كما أشارت أيضا إلى العلاقة المتعدية بين أمراض المجتمع (المركزية الاجتماعية) وأمراض الدولة حيث أن العلاقة بينهما هي علاقة وثيقة وشبيهة بعلاقة الفرد بالمجتمع فبصون الدولة نحمي المجتمع وبحماية المجتمع نؤسس لدولة العدالة والقانون[5].

---

(1) الرواية، ص: 30-31.

(2) نفسه، ص: 36.

(3) نفسه، ص: 56.

(4) هبة محمد علي حسن، المرجع السابق، ص:40.

(5) المرجع نفسه، ص:12.

فما يعانيه المجتمع الجزائري من اساءة وعنف لأحد أهم مكوناته (المرأة) هو وليد انهيار القيم المعنوية والدينية وطغيان المصالح الايديولوجية والشخصية على حياة الأفراد مما ساهم في إيجاد الكثير من الأمراض الاجتماعية والمشاكل الاقتصادية.

وهذا ما أدى انتفاض خالدة بطلة الرواية والتي تمثل نموذج المرأة المثقفة في صراعها مع المجتمع المصبوغ بصبغة الذكورة المركزية المهيمنة للتعريف بالأنا (الأنثوية)، وإبراز مجمل المغالطات التي أدت إلى تردي الأوضاع، وإهمال الأدوار، (الأسرة، المجتمع، القانون، الدولة،...) وقد أرجعت الروائية ذلك إلى الفهم الخاطئ للدين واضطراب التنشئة الاجتماعية، العادات والتقاليد المتوارثة.

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة يمكن لنا القول، أنه لا ينبغي لنا الحكم على الكتابة الأنثوية عل بأنها مجرد اضطرابات نفسية وتناقضات اجتماعية، تحاول من خلالها الروائية مجابهة عنف بعنف وتشكيل جبهة مضادة للآخر (الرجل، المجتمع). ولكن يبقى الواجب الاجتماعي والحضاري يفرض على كل أنا مبدعة أن تكون على قدر «الوعي الثقافي والنقدي، الذي هو من المهمات الأولى التي أرى أهميتها ووظيفتها في عملية التغيير لأنها أقوى ما نملك اليوم من أدوات النضال في عملية النهوض والبناء»[1].

لذلك تبقى اللغة والابداع الأدبي من الوسائل الأكثر فعالية في مجابهة تسلط الآخر ومحاربة مختلف الأمراض الاجتماعية، تحقيقا للتكامل الطبيعي الذي تقتضيه الفطرة الإنسانية، وفي هذا الصدد تشير الروائية والناقدة جوليا كريستيف إلى «أهمية اللغة عند المرأة، وترى أنها شرط ضروري لتحقيق كينونتها وبقائها، ووجودها وأن دخولها الى العالم الاجتماعي والقانون والعلاقات المختلفة لن يتم إلا من خلالها».[2]

فالمرأة المبدعة بإمكانها أن تقوم بثورة حقيقية شاملة. تحقق من خلالها التوازن الاجتماعي، من خلال تركيزها على إبداعاتها المتفردة (تنشئة الأجيال الصالحة، والكتابة

---

[1] .يمني العيد، المرجع السابق، ص: 239.

[2] هبة محمد علي حسن، المرجع السابق، ص:85.

الإبداعية الهادفة)، لأنهما أساس تشكيل الأنا أو الذات (الفردية) التي تعتبر البنية الأساسية للذات الجماعية (النحن) والتي بإمكانها أيضا أن تتشكل عبر اللغة.

المراجع:

1. جليل وديع شكور، (1998)، أمراض المجتمع - الأسباب - الأصناف - التغيير - الوقاية والعلاج، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت، لبنان.
2. الحميري عبد الواسع، (1999)، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، يروت، ط1.
3. علي سموك، إشكالية العتق في المجتمع الجزائري من أجل مقاربة سوسيولوجية، جامعة باجي مختار -عنابة- الجزائر، 2006.
4. فضيلة الفاروق، (2006)، رواية تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت لبنان، ط1.
5. فوزية دياب، (1980)، القيم والعادات الإجتماعية، بيروت، دار النهضة، ص: 55. نقلا عن د.جليل وديع شكور - أمراض المجتمع.
6. فيصل دراج، (2004)، الرواية وتأويل التاريخ - نظرية الرواية والرواية العربية - المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
7. محمد سوبان، (2005) مجلة دراسات إجتماعية، عدد 1، الجزائر، ص: 103.
8. هبة محمد علي حسن، الإساءة إلى المرأة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر.
9. وقائع الملتقى الدولي رشيد بوجدرة وإنتاجية النص، المركز الوطني للبحث في الأنثربولوجيا الإجتماعية والثقافية منشورات (**Gax، 10-9**) أفريل 2005، الجزائر.
10. يمني العيد، (2005)، في مفاهيم النقد وحركة الثقافة العربية، دار الفرابي، ط1، بيروت، لبنان.
11. **Minsky,R (1996) P.sycho-analyse and Grender Raulthed, NewYork.**
12. **EMILDURKHEIM:(1969), les règles de la méthode sociologique ED,ALLAN, 5*, ED,**